

تفسير ابن كثير

إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا

وقوله : (إذا رأتهن) أي : جهنم (من مكان بعيد) يعني : في مقام المحشر . قال السدي

: من مسيرة مائة عام (سمعوا لها تغيطا وزفيرا) أي : حنقا عليهم ، كما قال تعالى : (

إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ) [الملك : 7 ، 8] أي :

يكاد ينفصل بعضها من بعض ; من شدة غيظها على من كفر بالله . قال ابن أبي حاتم :

حدثنا إدريس بن حاتم بن الأخيف الواسطي : أنه سمع محمد بن الحسن الواسطي ، عن

أصبغ بن زيد ، عن خالد بن كثير ، عن خالد بن دريك ، عن رجل من أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من يقل علي ما لم أقل

، أو ادعى إلى غير والديه ، أو انتمى إلى غير مواليه ، فليتبوأ [مقعده من النار] . وفي

رواية : " فليتبوأ [بين عيني جهنم مقعدا " قيل : يا رسول الله ، وهل لها من عيني ؟ قال :

" أما سمعتم الله يقول : (إذا رأتهن من مكان بعيد) الآية . ورواه ابن جرير ، عن محمد

بن خدّاش ، عن محمد بن يزيد الواسطي ، به . وقال أيضا : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن

محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عيسى بن سليم ، عن أبي وائل قال :
خرجنا مع عبد الله - يعني : ابن مسعود - ومعنا الربيع بن خثيم فمروا على حداد ، فقام
عبد الله ينظر إلى حديدة في النار ، ونظر الربيع بن خثيم إليها فتمايل ليسقط ، فمر عبد
الله على أتون على شاطئ الفرات ، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه
الآية : (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) فصعق - يعني : الربيع بن
خثيم - فحملوه إلى أهل بيته ورابطه عبد الله إلى الظهر فلم يفق ، رضي الله عنه
.وحدثنا أبي : حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ،
عن ابن عباس قال : إن العبد ليجر إلى النار ، فتشهى إليه شهقة البغلة إلى الشعير ، ثم
تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف .هكذا رواه ابن أبي حاتم مختصرا ، وقد رواه الإمام
أبو جعفر بن جرير : حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا
إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : إن الرجل ليجر إلى النار ،
فتنزوي وتنقبض بعضها إلى بعض ، فيقول لها الرحمن : ما لك ؟ قالت : إنه يستجير مني .
فيقول : أرسلوا عبيدي . وإن الرجل ليجر إلى النار ، فيقول : يا رب ، ما كان هذا الظن

بك؟ فيقول : فما كان ظنك؟ فيقول : أن تسعني رحمتك . فيقول : أرسلوا عبدي ، وإن
الرجل ليجر إلى النار ، فتشعق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير ، وتزفر زفرة لا يبقى أحد
إلا خاف . وهذا إسناد صحيح . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن منصور ، عن مجاهد
، عن عبيد بن عمير في قوله : (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) قال : إن جهنم تزفر زفرة ، لا
يبقى ملك ولا نبي إلا خر ترعد فرائصه ، حتى إن إبراهيم عليه السلام ، ليجثو على
ركبتيه ويقول : رب ، لا أسألك اليوم إلا نفسي .